



## الأوضاع السياسية في المغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزييري

أحمد خليل حيدر الخليل (\*)  
إشراف أ.د محمود إسماعيل

### مقدمة:

إن مدلول لفظ المغرب في العصور الوسطى كان أوسع من مدلوله اليوم خصوصاً وأنه أصبح قاصراً على بلاد شمال أفريقيا أو ما يسمى بالمغرب العربي الكبير<sup>(١)</sup>، ومن هنا اصطلاح الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية انطلاقاً من المفهوم الواسع لمدلول لفظ المغرب، وتحديدأ لمبدأ القرب والبعد عن مركز الخلافة في المشرق وهي<sup>(٢)</sup> :

---

(١) معيد بكلية الآداب، جامعة حلب، وطالب بمرحلة الماجستير ، كلية الآداب، جامعة عين شمس .

١ - العبادي: أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، دت، ص ١٢.

٢ - السابق نفسه، ص ١٣.

المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، وتماشياً مع متطلبات البحث ستركز الحديث هنا عن المغرب الأدنى فهو المحور الأساسي لموضوع البحث.

إن مصطلح المغرب الأدنى لم يعرفه المؤرخون والجغرافيون القدامى، بل دللوا عليه باسم إفريقية أو بلاد القيروان<sup>(٣)</sup>، ويعود الفضل في استخدامه كما يبدو للباحثين المحدثين الذين رأوا من ضرورات المنطق أن يشار إلى هذه الأراضي التي عرفت باسم إفريقية، بالمغرب الأدنى، طالما أن هناك مغرباً أوسط وأقصى، وكل هذه الاصطلاحات جاءت انطلاقاً من بعدها وقربها عن عاصمة الخلافة الإسلامية في المشرق<sup>(٤)</sup>.

فالمغرب الأدنى والذي أطلق عليه أيضاً إفريقية<sup>(٥)</sup> يمتد من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية أو تاهرت غرباً، ويتكون من أربعة أقاليم طبيعية هي: إقليم برقة وإقليم طرابلس وبلاد إفريقية وبلاد الزاب، والمغرب الأدنى كانت قاعدته مدينة القيروان ثم المهديّة الفاطمية<sup>(٦)</sup>.

<sup>٣</sup> - البكري: للمغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة دت، ص ٤٧.

<sup>٤</sup> - العبادي: أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٣.

<sup>٥</sup> - وبلاد إفريقية سابقاً: تشمل اليوم كل البلاد التونسية مع بعض الأجزاء الغربية من ولاية طرابلس الليبية، وأجزاء من بلاد الجزائر الحالية، العبادي: المرجع نفسه، ص ١٢.

<sup>٦</sup> - مدينة ساحلية تقع على بعد مرحلتين من القيروان أسسها عبيد الله المهدي الفاطمي لتكون حاضرة لدولته الناشئة على أرض للمغرب الأدنى، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٢٩، اليعقوبي: البلدان، ص ١٠٧.

## أولاً: الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى:

في الفترة الأخيرة من عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبي<sup>(٧)</sup> نجح دعاة الشيعة الإسماعيلية في التسلسل نحو المغرب<sup>(٨)</sup>، وخاصة المغرب الأوسط، حيث استطاعوا أن يتصلوا بزعماء قبيلة كتامة، وهي إحدى أشهر القبائل البربرية على الإطلاق. ولقد نجحت جهودهم في استمالة أعداد كبيرة من أبناء قبيلة

٧ - هو أحد حكام دولة الأغلبية التي حكمت في المغرب الأدنى (أفريقية) ١٨٤-٢٩٦هـ - ٨٠٠-٩٠٨ م انظر الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، دار الفرجاني، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ١٢٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٢٨٨، محمود إسماعيل عبد الرازق: الأغلبية - سياستهم الخارجية، مكتبة وارقة الجامعة، فاس ١٩٧٨ م، ص ١٩١، وآخرون.

٨ - عن الشيعة الإسماعيلية الذين يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ويختلفون عن الشيعة الإثنا عشرية الذين يقولون بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، انظر القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٥ ص ١٢-٢٥، البغدادى: الفرق بين الفرق، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، ص ٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دت، ج ١، ص ١٥٥-١٧٦، ابن خلدون: المقدمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦ م، ج ٢، ص ٥٧٣-٥٨٠، برنارد لويس: أصول الإسماعيلية بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية نقله إلى العربية خليل أحمد جلو، ص ٤٨-١٦٣، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٨، ص ٤١ وآخرون.

كثامة وغيرها . ثم اتبع المشرفون على الدعوة الإسماعيلية هؤلاء ببعث أحد أشهر دعاة الشيعة الإسماعيلية وهو أبو عبد الله / الحسن بن أحمد الصنعاني المعروف بالشييعي<sup>(٩)</sup>، واستطاع أبو عبد الله أن يتصل بزعماء كثامة، كما استطاع أن يستأنف الدعوة للمذهب الشيعي بينهم وقد نجح فيما أراد نجاحاً كبيراً<sup>(١٠)</sup>، وقد رأى الشيعي أن ينتقل بالقبضة من مرحلة الدعوة والإعداد ، إلى مرحلة المواجهة مع القوى الكبرى في المغربين الأدنى والأوسط . وهم الأغلبية والرستميون ، وكانت دولة الأغلبية قد بلغت في الفترة الأخيرة من عمرها مرحلة سيئة من الضعف والانحلال وخاصة في عهود آخر ثلاثة أمراء وهم : إبراهيم بن أحمد وابنه عبدالله ، ثم زيادة الله بن عبد الله<sup>(١١)</sup>.

٩ - هو أهم دعاة الشيعة الإسماعيلية والذي يعود له الفضل في تثبيت دعائم الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، والذي انتهت حياته على يد سيده المهدي الفاطمي عندما وجد في نفسه خوفاً من دمهاته ومن أن يفتن للناس به ، عن تفاصيل حياته وقتله انظر ، ابن خلكان وفيات الأعيان ولنباء الزمان بتحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت ١٩٧٧، ج ١، ص ٤٤٤ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٦، المقرئزي : المواعظ الاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق ١٢٧٠هـ ، ج ١ ص ١٠٢ ، علي حسن خربوطلي : أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٧٢ وآخرون .

١٠ - علي حسن الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ٥٠-٧٥.

١١ - عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال أفريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط ١٩٩٠، ٢، ص ١٩٩ وما بعدها، وكذلك محمود إسماعيل : الأغلبية - سياستهم الخارجية، ص ٣٠-٣١

واستغل دعاة الإسماعيلية أحوال الدولة الأغلبية السينة ، فكثفوا جهودهم في نشر الدعوة الشيعية بين البربر بقيادة داعي الإسماعيلية الخطير أبي عبدالله الشيعي وهو ما تحقق لهم بالفعل، فانتقلوا بذلك من مرحلة الدعوة والإعداد إلى المواجهة العسكرية مع الدولة الأغلبية. ولا يهمننا من تفاصيل الصراع والمواجهة العسكرية بين الشيعي وجيشه من البربر وبين الأغلبية، إلا ما تمخضت عنه الأحداث في النهاية<sup>(١٢)</sup>، من سقوط الدولة الأغلبية نهائياً عام ٢٩٦ هـ وإعلان الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٧ هـ وسقوط الدويلات الأخرى المستقلة بالمغرب: المدراية والرستمية، ومن ثم دولة الأدارسة. وقد ترتب على ذلك انصياع المغربين الأدنى والأوسط وكذلك المغرب الأقصى، ولكن بين مد وجزر، للفاطميين الإسماعيليين ، اللذين نجحوا في تأسيس دولة شيعية في المغرب، وهو ما أعلنه عبيد الله المهدي<sup>(١٣)</sup> أول خلفائهم من على منبر مدينة رقادة<sup>(١٤)</sup>.

12 - محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢٠٨

13 - أهم مصدر يعرفنا بالمهدي الفاطمي من خروجه من الانام حتى وصوله إلى المغرب هو سيرة الحاجب المنصور والتي نشرت ضمن مجلة الجامعة المصرية عام ١٩٣٦، في المجلد الرابع ، لـ (و. إيفانوف ) والتي قنمها محمد اليماني بعد ترجمتها من قبل محمد كامل حسين، وكذلك حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة لفاطمية في بلاد المغرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٧.

14 - رقادة: بلدة تقع على بعد ٨ كم جنوب القيروان أسسها إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب سنة ٢٦٣ هـ، وبنى فيها قصور وأسواق عولم تزل دار بني الأغلب إلى أن هرب =

ولقد تعاقب على حكم المغرب خلال الفترة التي عاشها الفاطميون أربعة خلفاء هم<sup>(١٥)</sup>: عبيد الله المهدي، مؤسس الدولة، ثم ابنه أبو القاسم محمد بن عبيد الله ويدعى نزار أيضاً، ولقب بالقائم بأمر الله، ثم ابنه أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ابن عبيد الله، الذي لقب بالمنصور، وأخيراً ابنه أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد ابن عبيد الله الذي لقب بالمعز لدين الله، والذي غادر إلى مصر نهائياً عام ٣٦٢هـ<sup>(١٦)</sup>.

وفي ظل أولئك الخلفاء شهدت إفريقيا والمغرب أحداثاً جساماً سنقف على أهمها، وأول ما يمكن ملاحظته من خلال حكمهم لبلاد المغرب، أنهم لم يلقوا قبولا من معظم سكانه، نظراً للاختلاف المذهبي الواضح بينهم، وبين جل السكان الذين يتبعون المذهب المالكي، والذين يشككون بالإضافة إلى ذلك في صحة نسب عبيد الله المهدي وبنيه<sup>(١٧)</sup>.

=عنها زيادة الله من الشيعي وسكنها المهدي وأعلن فيها بداية للخلافة الفاطمية . انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٦، ص ٥٥.

15 - عصام عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة للشرق ، القاهرة ١٩٩٠ م، ص ١٧٧-١٨٠.

16 - محمد بركات الليلي : استيلاء الفاطميين على مصر، بحث مقدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ١١٢.

17 -- مسألة للنسب الفاطمي من أعصى المسائل التاريخية التي اختلف حولها كثير من المؤرخين من قدامى ومحدثين من معارض ومشكك ، إلى مؤيد ومثبت وحول هذا الموضوع الكبير لابد من العودة إلى كلى الطرفين للتعرف على آرائهم حول هذا=

- ٣٣٢ -

والأمر الذي يمكن استخلاصه من حكمهم للمغرب، هو أن المغرب جميعه لم يستكن لهم ، فبجانب الخلاف مع السنة الذين يشكلون غالبية السكان، تعددت ثورات البربر في المغربين الأوسط والأقصى، وأمضى خلفانهم أوقاتاً عصيبة في مواجهة الثورات المتلاحقة عليهم من البربر<sup>(١٨)</sup>. وحتى قبيلة كتامة، وهي الساعد الأيمن الذي اعتمد عليه أبو عبد الله الشيعي في قيام الدولة الفاطمية ، شعرت بأنه لم ينلها من المكاسب والمصالح شيئاً وأن جهودها ذهبت هباء<sup>(١٩)</sup>.

غير أن الحدث الضخم الذي هز الدولة وكيانها هزاً عنيفاً تمثل في الثورة الكبرى التي أشعلها الثائر البربري الخارجي أبو يزيد بن كيداد اليفرنى الذي

---

=الموضوع انظر : ابن حماد :أخبار ملوك بني عبيد ومسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة- عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة ١٤٠١ هـ، ص ٣٥ مع الهامش ومقدمة المحققان ، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٠-١١٩ والحاشية رقم ١٠، المقرئزي : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشبال ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ط ٣، ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٢٢ - ٣٤ مع الهوامش ، ابن أبي الضياف: إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج ١، ص ١٥٥.

O'Leary: A Short History of the Fatimid Khalifate, London 1923,P.18.

18 - ابن خلكان : المصدر السابق ، ص ٢٣٤.

19 - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص ٥١٥ - ٣٣٣ -

كاد أن يطيح بالدولة الفاطمية نهائياً<sup>(٢٠)</sup>، وشغلت ثورته التي اندلعت بعد وفاة المهدي، كل عهد الخليفة القائم بأمر الله وحتى خلافة المنصور الذي استطاع أن يقضي عليها عام ٣٣٦ هـ<sup>(٢١)</sup>.

وفي عهد الدولة الفاطمية في المغرب تتابعت جهودهم في مواصلة الفتوحات في الجزء الجنوبي من إيطاليا، كما تتابعت اهتماماتهم بجزيرة صقلية وخاصة بالاعتناء في اختيار الولاة عليها، كالأسرة الكلبيّة التي قدر لها أن تتولى أمر صقلية من قبلهم مدة من الزمن<sup>(٢٢)</sup>، وفي عهدهم كان المغرب

20 - قامت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد وهو من قبيلة زناته والذي لقب بصاحب الحمار لأنه كان يركب الحمار دائماً، وكان هو وجماعته على المذهب الإباضي النكاري المعارض لمذهب الشيعة الإسماعيلية، وفي سنة ٣٣٢ هـ في عهد القائم بأمر الله، وخطورة هذه الثورة أنها اتخذت طابع المعارضة للقومية ضد أي سيادة تفرض على البربر كالسيادة العنصرية أو المذهبية لذلك كانت هذه الثورة ذات صفة قومية ضد السيادة الفاطمية وحليفاتها القبائل الصنهاجية، مع وجود العداء التقليدي القديم بين صنهاجة وزناته، وكانت هذه الثورة من أخطر ما هدد الخلافة الفاطمية في المغرب بعد وجودها بقليل، وسيكون لنا معها وقفات عن سنتحدث عن مدينة المهديّة، والتي قضى عليها الخليفة المنصور بالتعاون مع القبائل المساندة له، وللأسف أكثر عن هذه الثورة وصاحبه ونهايتها، انظر: ابن أبي دينار: المؤنس، ص ٣٧ - ٧٤، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، فاس، ١، ١٩٧٦، ص ٣٢٠ وما بعدها.

21 - محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص ٥٠٥.

22 - أحمد توفيق المدني: المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا، منشورات الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٦٩ م، ص ١٠٩ وعزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٠ م، ص ٣٢.



الأقصى كما ذكرنا سابقاً، بين مد وجزر، في تبعيته لهم أو للدولة الأموية في الأندلس أو زعماء قبيلة زناته، الذين كانوا كثيراً ما يسيطرون نفوذهم على المغرب الأقصى خالعين طاعة الفاطميين<sup>(٢٣)</sup>. وأدى هذا بالدولة الفاطمية إلى أن تصطنع قبيلة بربرية أخرى منافسة لزناته، وهي قبيلة صنهاجة، التي غدت الساعد الأيمن للخلافة الفاطمية ضد خصومها وهياً هذا لقبيلة صنهاجة تولي أمور المغرب جميعه بالنيابة عن الفاطميين عندما قرروا الرحيل إلى مصر<sup>(٢٤)</sup>.

فقد كان التطلع إلى مصر والشرق الهاجس الذي يشغل بال كل الخلفاء الفاطميين ابتداء من المهدي وانتهاء بالمعز لدين الله وقد حاول كل واحد منهم باستثناء المنصور الذي شغل بالقضاء على الخارجي، بإرسال الجيوش صوب مصر وهو الأمر الذي تحقق على يد المعز وقائده جوهر الصقلي<sup>(٢٥)</sup>.

فمنذ وصول المهدي إلى أفريقية أدرك أنها لن تستطيع أن تحقق أهداف الخلافة الفاطمية أولاً لقلّة مواردها، وثانياً لمقاطعة علماء المالكية ومقاومتهم السنية لهم كما ذكرنا، ثم بسبب الطبيعة الجغرافية الجبلية للشمال الأفريقي

23 - سنوسي يوسف إبراهيم : موقف زناته من الخلافة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، ص ١١٠ وما بعدها .

24 - سنوسي يوسف إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

25 - ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١ ص ٢٠٠ ، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٤٩ ، محمد بركات البيلي : استيلاء الفاطميين على مصر ، ص ١١١ .

وصعوبة السيطرة عليه، وأخيراً لأن أنظار الفاطميين كانت متجهة دوماً إلى الشرق<sup>(٢٦)</sup>.

وأخيراً يمكن القول: أن المغرب الأدنى، على وجه الخصوص، قد شهد خلال عهد الفاطميين سيطرة تامة لهم واستطاعوا من خلاله الامتداد نحو الغرب والشرق، وكذلك السيطرة على سواحله الشمالية المطلّة على البحر الأبيض المتوسط. كما شهد تطوراً ملحوظاً في معظم المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والأدبية، وهذا التطور لا يقل عما شهدته البلاد في عهد الأغالبة، وسيوضح لنا ذلك عندما سنلقي الضوء لاحقاً على أهم عمل عمراني قامت به الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى، ألا وهو بنائهم لمدينة المهدية حاضرة الدولة الفاطمية في الشمال الأفريقي.

### الدولة الزييرية (الصنهاجية) في المغرب الأدنى :

لم تكد الدولة الفاطمية تنتصب في المغرب حتى وجدت في قبيلة صنهاجة السند والمعين القوي، وفي الوقت الذي أخذت فيه قبيلة كتامة تراجع حساباتها، كان زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة<sup>(٢٧)</sup>، ومن ثم ابنه بلكين يقفان قلباً وقلبا مع الخلافة الفاطمية ضد خصومها.

26 - أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ص ١٢٣.

27 - يقول ابن أبي دينار : ( وصنهاجة قبيلة من قبائل البربر ، وقيل صنهاجة فخذ من ولد

عبد الرحمن شمس ابن وائل بن حمير وأن الملك إفريقيش بن وائل بن حمير غزا-

لقد كانت المشكلة التي تقلق بال الخليفة المعز لدين الله وهو يتهيأ للرحيل إلى النهائي إلى مصر هي كيفية المحافظة على النفوذ الفاطمي في المغرب، وخاصة وهو يعرف أكثر من غيره صعوبة ذلك، حتى في ظل وجودهم الفعلي. ولذلك فقد توصل إلى حقيقة مهمة، وهي ضرورة إشغال المغرب في فتن متلاحقة يضرب قبائله بعضها ببعض حتى لا تفكر هذه القبائل في الخروج على الدولة ولو مؤقتاً<sup>(٢٨)</sup>.

وهكذا استدعى المعز بلكين بن زيري بن مناد، الذي لعب دوراً مهماً وبارزاً في تثبيت سلطة الدولة الفاطمية، وعهد إليه بحكم المغرب من بعده. ومع أن بلكين مانع في ذلك، إلا أنه لم يجد مفرأ من القبول ولم يكتف الخليفة

---

=المغرب وبنى إفريقية خلف فيها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة وقمهم على البربر ليدبروا أمرهم ويأخذوا خراجهم وقيل صنهاجة بن حصين بن سبأ لصلبه وقيل هم من فخذ هواره من حمير، وصنهاجة قبيلة من البربر تنقسم إلى سبعين فرقة منهم لمتونة الذين ملكوا للمغرب)، المؤنس، ص ٩٣، ويضيف ابن خلدون: (وكان كبيرهم لعهد الأغلبة مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر)، وأن مناد بن منقوش هذا قد ملك جزء من المغرب وأن زيري بن مناد هو مؤسس الدولة الزيرية كما ذكرنا سابقاً، انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦، ص ١٨١، الهادي روجي إريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت ١٩٩٢، ج ١، ص ٣٤-٤٠.

28 - أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، مجلة للدراسات

الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، ١٩٥٧.

بذلك، بل أنعم عليه بلقب سيف الدولة، أو سيف العزيز بالله، وكناه بأبي الفتوح، ويقال أنه أطلق عليه اسماً آخر هو يوسف<sup>(٢٩)</sup>.

وما إن غادر المعز إلى مصر، حتى بدأت الدولة الزييرية أو الصنهاجية فعلاً - وكان الحدث في الحقيقة نقطة تحول تاريخية في المغرب كله، وكان قيامها إيذاناً بنشوء الدول البربرية المستقلة، وأصبح ينظر إليها من قبل البربر في المغرب الأدنى على أنها أول دولة بربرية صرفة، تعبر عن الشعور بالاستقلال والخروج عن التبعية العربية<sup>(٣٠)</sup>.

وكيفما كان الأمر فقد تعاقب على حكم هذه الدولة ثمانية أمراء أولهم أبو الفتوح بلكين بن زيري كما ذكرنا ٣٦٢ - ٣٧٣ هـ، ثم ابنه المنصور بن بلكين الذي أتاه تكليف الدولة الفاطمية ٣٧٣ - ٣٨٦ هـ، ولقب بعدها بالعزيز بالله، ثم ابنه باديس بن المنصور ٣٨٦ - ٤٠٦ هـ، ولقبه نصر الدولة ويكنى بأبي مناد، ثم ابنه المعز بن باديس ٤٠٦ - ٤٥٤ هـ، ولقب شرف

29 - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١، ص ٢٢٨، ابن أبي دينار : المصدر السابق ص ٩٦، ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٥، ص ٢٨٦، ابن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان ، ج ١، ص ١٦٤، الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ج ١، ص ٧٨، الزركلي : الأعلام ، دار الملايين ، بيروت، ١٩٨٠، ج ٢، ص ٧٤.

30 - عبد الحليم عويس : دولة بني حماد ، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ص ٢٩.

الدولة<sup>(٣١)</sup>، وفي عهد المعز انقسمت الدولة الزيرية إلى دولتين بعد أحداث عائلية وأسرية : دولة في أفريقية وعاصمتها القيروان ثم المهديّة ، وتعرف بالدولة الزيرية التي احتفظت أو احتفظ لها المؤرخون بالتسمية الأصلية لمؤسس الدولة زيري ، ودولة أخرى في المغرب الأوسط عاصمتها أشير ثم القلعة<sup>(٣٢)</sup>، عرفت بدولة بني حماد نسبة إلى حماد بن بلكين بن مناد الذي نازع المعز بن باديس حفيد شقيقه المنصور بعد أن كان قائده ويده الباطشة التي يضرب بها خصومه.

31 - ابن عذارى : البيان المغرب، ج ١، ص ٢٢٩، ابن خلكان، وفیات الأعيان، ج ٥، ص ٢٣٢، الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية، ج ١، ص ٧٨-٧٩، للزركلي : الأعلام ، ج ٢، ص ٧٤.

32- مدينّا أشير والقلعة كانتا عاصمتي للدولة الحمادية، قبل مدينة بجاية، ومدينة لشير وبمد الهمة أو بدون ذلك، تقع إلى الطرف الغربي من مدينة بجاية في المغرب الأوسط، وقد بناها والد مؤسس الدولة الزيرية: زيري بن مناد، الذي ينتسب إليه للزيروني والحماديون على السواء، وذلك في ٣٣٤هـ، ثم أصبحت عاصمة للدولة الحمادية، انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٩٠، المقسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد ط ٢، عن لين ١٩٠٦، ص ٦٦، البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٦٠، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٤، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٩٤، عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص ٨٦-٩٢، /أما مدينة القلعة أو قلعة بني حماد، فتقع في مكان حصين في جبل يدعى جبل عجبية للبر، في المغرب الأوسط، وقد بناها حماد مؤسس للدولة الحمادية عام ٣٩٨هـ، واتخذها عاصمة له. انظر: البكري: المصدر السابق، ص ٤٩، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤٨، ابن خلدون: للعبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦، ص ١٧١، الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج ٢، ص ٩٨، عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص ٨٦-٩٢.

وخلف المعز ابنه تميم الذي تقلص نفوذه في شريط ساحلي ضيق يضم مدن المهدية وقابس وجزيرة جربة، وذلك بعد الأحداث التي ترتبت على الانفصال السياسي والمذهبي للدولة الزيرية عن الخلافة الفاطمية، وقد حكم تميم من سنة ٤٥٤ هـ حتى ٥٠١ هـ، ثم ابنه يحيى بن تميم (٥٠١ - ٥٠٩ هـ) ثم ابنه علي بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥ هـ)، وأخيراً الحسن بن علي (٥١٥ - ٥٤٣ هـ)، الذي ختم عهد الدولة الزيرية من فرع باديس المنصور بن بلكين.

ولقد شهدت الدولة أحداثاً سياسية وعسكرية خطيرة وأول ما يمكن ملاحظته من تلك الأحداث هو النزاع القبلي الخطير بين البربر البتر ممثلين في قبيلة زناته والبربر البرانس ممثلين في قبيلة صنهاجة<sup>(٣٣)</sup>، فلقد أمضى ثلاثة من أمراء هذه الدولة الأولى حياتهم تقريباً في نزاع مسلح مع قبيلة زناته في المغربين الأوسط والأقصى، وظلت مواجهة زناته كأنما هي إرث تقليدي يتقلده الخلف عن السلف من أمراء الدولة الزيرية<sup>(٣٤)</sup>، غير أن هذه الأحداث

٣٣- البربر البرانس: هم البربر المستقرون الذين يعيشون على الزراعة، ومن أهم قبائلهم صنهاجة، والبربر البتر: هم الرحل وسكان البادية ويعيشون على الرعي والتنقل ومن أهم قبائلهم زناته وفروعها، انظر، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٦، ص ١٧٧

٣٤- ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١ ص ٢٤٩، ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان، ج ١، ص ١٦٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،

انتهت بقيام الدولة الحمادية في المغرب الأوسط التي تولت بعد ذلك هذا الإرث العدائي حتى قيام الدولة المرابطية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري<sup>(٣٥)</sup>.

ومن الأحداث التي لا بد لنا من الوقوف عليها ملياً ، هي الانفصال عن الدولة الفاطمية، وكانت بداية التحول في سنة ٤٣٠ هـ وذلك بإفساح المجال في أروقة القيروان لتدور فيه مناقشات حول القضاء على الشيعة، وكان المعز يميل إلى التريث في قطع علاقاته بالفاطميين<sup>(٣٦)</sup> ، غير أن ضعف المستنصر بالله الفاطمي من ناحية ، ورغبة المعز في تدعيم مكانته بين أهل السنة من ناحية أخرى جعله يظهر في سنة ٤٣٥ هـ الميل للدولة العباسية وذلك دون أن يقطع علاقته بالفاطميين، ثم جاءت الخطوة الأخيرة في الانفصال عن الفاطميين بأن أصبح لباس السود بالقيروان، وأمر القضاة والفقهاء وجميع

ص ٥٥٥ ، عبد الحليم عويس: دولة بني حماد ، ص ١٠٠ ، إسماعيل العربي : دولة - صني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ١٩٨٠ ، ص ١١٠ - ١١٥ .

35 - عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ، إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

36 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٧٠ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٦٢ ، الهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ . عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

المؤذنين والخطباء بلبس السواد تأييداً للعباسيين<sup>(٣٧)</sup>، وعلى هذا النحو عم الخروج عن طاعة الفاطميين بلاد المغرب.

ويبدو أن هذه الإجراءات لم تأت من فراغ ، فهي تدل على مدى قوة المعز بن باديس ونضوجه السياسي، الذي بدأ التدخل أيضاً في شئون جزيرة صقلية التي كانت تابعة للفاطميين، وذلك اعتماداً على القوة البحرية التي ورثها عن الفاطميين بعد مغادرته إلى مصر ، والتي كانت تضم أسطولاً بحرياً ضخماً<sup>(٣٨)</sup>.

لكن الخلافة الفاطمية في مصر لم تقف مكتوفة الأيدي بعد ضياع ملكها وثوراته في أفريقية والمغرب ، حيث قامت باصطناع جيش شعبي هائل ودفعته صوب المغرب ، ألا وهو قبائل بني هلال وبني سليم التي كانت في صعيد مصر وولتهم أعمال أفريقية<sup>(٣٩)</sup>، وذلك لمحاربة بني زيري، وقد حققت الهجرة الهلالية نجاحاً كبيراً إذ سرعان ما اجتاحت مدينة برقة سنة ٤٤٣ هـ

37 - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١، ص ٢٧١، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦، ص ١٨٧، منى حسن محمود : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٨.

38 - ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠٥، المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨، منى حسن محمود: المرجع السابق، ص ١٢٩.

39 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨، ص ٥٠، ابن أبي دينار : المصدر السابق، ص ١٠٦، ابن خلدون : المصدر السابق، ص ١٨٨، أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة الثقافة الجامعية . الإسكندرية، د.ت، ص ٢٩٠،



وما كانوا يصلون إلى نواحي إفريقية حتى عاثوا فيها فساداً فغضب المعز بن باديس، وعزم على محاربتهم قبل أن يستفحل خطرهم<sup>(٤٠)</sup>، لكن جيوشه التي حشدها من القبائل ظهرت فيها علامات الفشل، فمنيت بهزيمة نكراء تسببت بخروج المعز من القيروان، التي استباحها العرب خراباً ودماراً<sup>(٤١)</sup>.

وأصبحت إفريقية تحت رحمتهم، وقد أحدث هذا الأمر تصدعاً لوحدة المغرب السياسية وانقسم إلى مدن وإمارات متصارعة، وقد أصبحت القبائل العربية منذ ذلك الحين إحدى القوى المؤثرة والمحركة في المغربين الأدنى والأوسط، واستطاع المعز بن باديس الهروب من القيروان إلى المهدية بسلام..

وأخيراً توفي المعز حزينا عام ٤٥٤ هـ، وخلفه ابنه تميم الذي انحصر سلطانه إلى المهدية والمناطق الساحلية المحيطة بها، هو وخلفائه إلى أن سقطت دولتهم بيد النورمانديين سنة ٥٤٣ هـ<sup>(٤٢)</sup>.

وأخيراً نجد أن الدولة الصنهاجية ورثت عن الفاطميين حكم المغرب الأدنى بعد مغادرتهم إلى مصر نهائياً، وكان هذا الإرث سياسياً واقتصادياً،

40 - ابن عذاري: المصدر السابق، ص ٢٨٠، ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٥٥، ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٩٠، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٦٦٠، منى حسن محمود: المرجع السابق، ص ١٣٥.

41 - السابق نفسه.

42 - ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦ ص ١٩٩، الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ص ٣٩٣، وما بعدها.

وخاصة أن الفترة الأولى لهم ساروا ضمن الشرعية الفاطمية في الحكم، وسنجد لاحقاً كيف كان لمدينة الفاطميين الأولى في المغرب دوراً كبيراً في استمرار حكم الزياريين، بعد هجوم بني هلال وسليم على المدن المغربية، وكذلك الاستفادة الكبيرة في المجال الحربي والاقتصادي، من الأسطول الفاطمي في البحر المتوسط.

### المصادر والمراجع

١. ابن أبي الضياف: إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، منشورات الدار التونسية، تونس ١٩٧٦م.
٢. ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار المغرب، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٦٧م.
٣. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة- عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة ١٤٠١ هـ.
٤. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر، بيروت ١٩٨١م.
٥. ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

٦. ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، منشورات دار الثقافة، بيروت د.ت.
٧. أحمد توفيق المدني : المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا ، منشورات الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٦٩ م.
٨. أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية، د.ت.
٩. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، مجلة الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس، ١٩٥٧.
١٠. إسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ١٩٨٠ م.
١١. أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧ م.
١٢. برنارد لويس: أصول الإسماعيلية بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية نقله إلى العربية خليل أحمد جلو وجاسم الرجب، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٤٧ م.
١٣. البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة د.ت.

١٤. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٩٥٨م.
١٥. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة لفاطمية في بلاد المغرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٧.
١٦. الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٤م.
١٧. سنوسي يوسف إبراهيم : موقف زناته من الخلافة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م.
١٨. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
١٩. الشهرستاني: الملل والنحل ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، د.ت .
٢٠. عبد الحليم عويس : دولة بني حماد ،صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٠م.

٢١. عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال أفريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط ١٩٩٠، ٢م .

٢٢. عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ١٩٨٠م .

٢٣. عصام عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

٢٤. علي حسن خربوطلي : أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٧٢م .

٢٥. القاضي النعمان : كتاب افتتاح الدعوة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٥م .

٢٦. محمد بركات البيلي : استيلاء الفاطميين على مصر، بحث مقدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ١٩٩٧م .

٢٧. محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب، فاس، ط ١، ١٩٧٦م .

٢٨. محمود إسماعيل عبد الرازق : الأغلبة - سياستهم الخارجية، مكتبة وارقة الجامعة ، فاس ، ١٩٧٨ م .

٢٩. المقريري : اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيباني ، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية ، القاهرة ط٣ ، ٢٠٠٥م.

٣٠. المقريري : المواعظ الاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠هـ.

٣١. منى حسن محمود : دراسات في تاريخ و حضارة المغرب والأندلس ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ٢٠٠٣م.

٣٢. الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية ، ترجمة حمادي الساطي ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت ١٩٩٢م.

٣٣. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، منشورات دار صادر ، بيروت ١٩٨٤م.

O'Leary: A Short History of the Fatimid Khalifate, London ,1923.